الباب الثانى

دراسة المعتقدات والممارسة السحرية

مقـــدمة :

الفصل الاول : المؤلفات السحرية المنسوبة للبونى •

الفصل الثانى : السحر الرسمى والسحر الشعبى •

الفصل الثالث : أغراض الممارسة السحرية •

الفصل الرابع : تقارير دراسات ميدانية لبعض المشتغلين بالسحر فى الريف المصرى •

الفصل الخامس : دليل مختصر للدراسة الميدانية للسحر •

الباب الثانى

دراسة المعتقدات والممارسات السحرية

مقدمة الباب :

يتخذ هذا الباب لنفسه خطة تقوم على تقديم بعض الملاحظات الأساسية عن الممارسات والمعتقدات السحرية فى المجتمع المصرى • ويتخذ العرض طابعا تاريخيا تأصيليا اذ يقدم لنا صورة تلك المعتقدات وهذه الممارسات فى مصادرها الاسلامية المصرية ، كما تحددت فى أعمال واحد من كبار المشتغلين بالسحر فى تاريخ مصر ، ان لم يكن أكبرهم وأشهرهم جميعا • ولما كانت مؤلفات هذا الساحر الكبير ــ أحمد بن على البونى ــ تندرج تحت ميدان السحر الرسمى ، وليس الشعبى ، وجب أن نلقى مزيدا من الضوء على هذين المفهومين المتميزين والمتفاعلين فى نفس الوقت ، وذلك لكى نحدد لأنفسنا الارضية التى نقف عليها ونتحرك فى اطارها • ونقدم بعد ذلك قطاعا عرضيا من تراث هذا الشعب من المعتقدات والممارسات السحرية ، وذلك من خلال القاء الضوء ــ بشىء من التفصيل ــ على الاغراض التى يتوخى تحقيقها عملاء المشتغلين بالسحر فى بلادنا •

وفى ضوء هذا التحديد تنتظم فقرات هذا الباب ، حيث نبدأ فى الفصل الاول بالتعريف بالبونى ومؤلفاته ، ثم ننتقل فى الفصل الثانى الى الكلام عن السحر الرسمى والسحر الشعبى ، ثم نختتم الباب بالكلام عن أغراض الممارسة السحرية فى الفصل الثالث • وقد تجمعت لدينا علاوة على هذا طائفة من المواد الميدانية والملاحظات الواقعية من خلال دراستنا لطائفة من المشتغلين بالسحر فى مختلف أنحاء مصر • وقد ضمنت الفصل الاخير المعنون : « خبرات ميدانية فى الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية » بعض تقارير عن زيارة أولئك السحرة المحترفين •

الفصل الأول

المؤلفات السحرية المنسوبة للبونى

أولا ــ حياة البونى :

مؤلف هذه المجموعة من الكتب هو محيى الدين أبو العباس أحمد بن على يوسف البونى القرشى(١) • ويعتبر هذا المؤلف العربى واحدا من أهم من اشتغلوا بالعلوم السحرية على طول تاريخ مصر الاسلامى • ولسنا نعرف تاريخ ميلاده على وجه الدقة واليقين اذ برغم أهميته الكبرى هذه نجده لا يكاد يذكر فى كتب التراجم العربية على ضخامتها وتنوعها • ولعله من اللافت للنظر بوجه خاص أننا لا نسمع عنه عند جلال الدين السيوطى فى كتابه « حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة » •

وربما أمكننا أن نعزو هذا ببساطة الى الحقيقة المعروفة وهى أن تلك الحقبة قد احتشدت بعدد لا يكاد يحصى من الاولياء والنساك والمتصوفة• حيث شهدت تلك الفترة على سبيل المثال لا الحصر عمر بن الفارض (توفى ٦٣٢ هـ ١٢٣٤ م) ، وأبا الحجاج (توفى ٦٤٢ هـ ١٢٤٤ م) وأبا الحسن الشاذلى (توفى ٦٥٦ هـ ١٢٥٨ م) والولى السكندرى القبارى (توفى ٦٦٢ هـ ١٢٦٣ م) • والسيد أحمد البدوى (توفى ٦٧٥هـ ١٢٧٦م)• وأبا العباس المرسى (توفى ٦٨٦ هـ ١٢٨٧ م) • وربما كان من الاسباب الاخرى لاهمال ذكر صاحبنا البونى فى تلك المؤلفات انتماؤه الشيعى • والدليل على ذلك ورود مؤلفه الرئيس شمس المعارف الكبرى ولطائف العوارف فى كتاب « الذريعة الى تصانيف الشيعة » (المجلد الاول ص

---

(١) راجع ترجمته عند حاجى خليفة فى كشف الظنون ، وعمر رضا كحاله فى تراجم مصنفى الكتب العربية وخير الدين الزركلى فى قاموس الاعلام •

٢٢ ، والمجلد الرابع عشر ص ٢٢٦) • ثم أن نظرة فاحصة فى قائمة مشايخه التى أوردها فى ذيل كتابه « شمس المعارف » سوف تؤكد لنا هذا الزعم حيث ينتمى كثير منهم الى رؤوس الشيعة • ولما كانت السنة قد عادت وسيطرت على مصر من جديد ، كان من الطبيعى أن نواجه بعد موته تشكيكا فى أستاذيته وتجاهلا لمكانته من جانب مؤلفى التراجم •

الثابت لدينا على أى حال أنه توفى فى القاهرة عام ٦٢٢ هجرية الموافق ١٢٢٥ ميلادية • فعلى هذا التاريخ تجمع كل المصادر التى بين أيدينا دون استثناء • وعلى ذلك يمكن أن نقدر أنه ولد فى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى • وكما تدلنا كنيته « بونى » كانت ولادته فى مدينة « بونة » على الساحل الافريقى الشمالى فى جمهورية الجزائر حاليا • وليست لدينا أى معلومات عن فترة طفولته ولا عما مارس من أعمال فى فجر حياته • وان كنا نستطيع أن نستنتج من عديد من الشواهد المتاحة أنه قد قام — مثل كثيرين من معاصريه — برحلات متعددة فى مختلف أرجاء العالم الاسلامى ، اذ زار القدس ، ودمشق ، وحلب • كما وصل الى بعض أجزاء مصر ، وكتب بشىء من التفصيل عن أخميم (محافظة سوهاج) • كما يمكننا أن نقدر أنه قد انخرط فى فترة شبابه فى احدى الطرق الصوفية (مع ملاحظة أن بعض كتب التراجم تلقبه بالمتصوف) •

ولكنا نعود فنتساءل : لماذا اختير البونى بالذات موضوعا لهذه الدراسة ؟ أكدت المصادر والمراجع المختلفة فى أكثر من مناسبة أنه أكبر وأشهر ساحر اسلامى معروف على الاطلاق(٢) • ولعل نظرة واحدة الى قائمة المؤلفات العديدة المتنوعة التى تنسب له سوف تؤيد هذا الحكم ولاشك • ونصادف أكمل حصر لهذه المؤلفات المنسوبة اليه عند حاجى

---

(٢) انظر مثلا دائرة المعارف الاسلامية ، طبعة ليدن ، ودراسات دوتيه Doutte ، وفينكلر وكريس (راجع القائمة البيليوجرافية فى آخر الكتاب) •

خليفة فى : « كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون » ، وكارل بروكلمان فى : « تاريخ الادب العربى » • فينسب اليه كلاهما عـددا هائـلا من المؤلفات ، وان كانا يختلفان بصدد عدد منها كما توضح لنا المقارنة •

وقد أورد البونى عرضا لطائفة من أسماء مؤلفاته فى سياق بعض الكتب المنسوبة والتى تناولناها بالدراسة — مخطوطة ومطبوعة • وهذه المؤلفات هى :

١ — شمس المعارف ولطائف العوارف (ورد ذكره فى منبع أصول الحكمة للبونى ، ص ٣٥) • انظر حول هذا الكتاب حاجى خليفة ، المجلد الثانى ، ص ١٠٦٢ ، وكارل بروكلمان ، تاريخ الادب العـربى ، المجلد الاول ، ص ص ٤٩٧ — ٤٩٨ •

٢ — لطائف الاشارات (ورد ذكره فى منبع أصول الحكمة ، ص ٥٠ ، وشمس المعارف ، جـ ٣ ، ص ٣٠٢ ، ص ٣٢٢) • انظر كذلك ، حاجى خليفة ، المرجع السابق ، المجلد الثانى ، ص ١٥٥١ ، وكارل بروكلمان ، المرجع السابق •

٣ — ألواح الذهب (ورد فى منبع أصول الحكمة ، ص ٣٥) راجع بروكلمان ، المرجع السابق ، المجلد الاول ، ص ٤٩٨ •

٤ — قبس الاقتداء الى مراقى السعادة ونجم الاهتداء ، ورد ذكره فى منبع أصول الحكمة ، ص ٣٦ • قارن حاجى خليفة ، المرجع السابق ، المجلد الثانى ، ص ١٣١٥ ، وبروكلمان ، الجزء الاول ، ص ص ٤٩٧ — ٤٩٨ •

٥ — علم الهدى وأسرار الاهتداء ، ورد فى منبع أصول الحكمة ، ص ٣٤ — راجع حاجى خليفة ، المجلد الثانى ، ص ١١٦١ ، وبروكلمان ، المجلد الاول ، ص ٤٩٧ • ولعله هو نفس المؤلف الذى ورد تحت عنوان : « علم الهدى وقبس الاهتداء فى شرح أسماء الله الحسنى » (الذى ورد

ذكره فى شمس المعارف ، الجـــزء الرابع ، ص ٤٤٣ ، وكذلك ص ٤٦٤ ، وص ٤٧٩) •

٦ ــ الرياضات بالاسماء الحسنى ، ورد فى منبع أصول الحكمة ، ص ٣٧ ، قارن كذلك حاجى خليفة ، الجزء الثانى ، وبروكلمان ، المرجع السابق •

٧ ــ منظومة فى شرح الحروف ، ورد ذكره فى اللمعـــة للبونى ، ورقة ٤٤ ب • وانظر كذلك بروكلمان ، المجلد الاول ، ص ٤٩٨ •

٨ ــ رسالة فى شرح أسماء الله فى البرهتية ، ورد ذكره فى منبع أصول الحكمة ، ص ٢٩٤ •

٩ ــ ذات الدوائر ، ورد ذكره فى شمس المعارف ، الجزء الثالث ، ص ٣٠٢ •

١٠ ــ المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى ، ورد ذكره فى شمس المعارف ، الجزء الرابع ، ص ٤٦٢ •

وعلاوة على هذا ورد فى كتاب منبع أصول الحكمة أن البونى قـــد ألف مربعات للأسماء • والعجيب أن حاجى خليفة نســـب للبونى مؤلفا بعنوان « مطلع العزائم » يقـــول ان البـــونى أورد فيـــه بعض الآثار السحرية الفريدة التى جربها بنفسه ، انظر المجلد الثانى ، ١٧٢٠ •

وواضح أن تلك المؤلفات جميعها تدور حول جميع مجالات السحر وفروعه المعروفة • وان كانت تكرس قدرا خاصا من الاهتمام لموضوع أسماء الله • فاستخدام أسماء الله فى السحر يمثل نواة هذه المؤلفات • تماما كما يمثل نواة السحر الاسلامى على الاطلاق •

فالبونى يتكلم عن أسماء الله فى كل مناسبة مباشرة أو غير مباشرة •

سواء فى ذلك أكان يتناول الخصائص السحرية للحروف ، أو عمل الاوفاق والاشكال السحرية ، أو خصائص الايام والساعات .. الخ . هذا علاوة على أن طائفة من مؤلفاته تحمل فى عنوانها الكلام عن موضوع أسماء الله.

ثانيا ــ مراحل تطور مؤلفات البونى :

ومن المقطوع به أن البونى ليس هو المؤلف الحقيقى لكل ما ينسب اليه من مؤلفات . وبوسعنا على أساس الشـــواهد المتاحة لنا حاليا أن نتعرف على عدة مراحل تطورية مرت بها المؤلفات المنسوبة للبونى . ويمكن أن نعرض لها بايجاز فيما يلى :

(أ) أنقى المؤلفات وأقدمها والتى ترجع الى البونى نفسه فعلا . ولعل المؤلف الوحيد الذى يمكن أن ندخله ضمن هذه الفئة دون أى شكوك هو : « اللمعة النورانيـــة » . (يمكن للقـــارىء أن يرجع الى المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٥٧٦ ب ، وقارن كذلك : كشف الظنون لحاجى خليفة ، المجلد الثانى ، ص ١٥٦٦ وتاريخ الادب العربى لبروكلمان ــ الاصل الالمانى ــ المجلد الاول ، ص ٤٩٧ وما بعـــدها) . ويقول البونى فى مطلعها عن سبب تأليفها أن أحد الاصـــدقاء سأله عن الاسماء الحسنى هل هى عربية أم أعجمية . ويتكون القســـم الاول من المخطوطة من أدعية مقسمة حسب ساعات اليوم . مثلا : الخميس دعاء الساعة الاولى ، دعاء الساعة الثانية .. حتى الساعة الثانيـــة عشرة . الاحد : دعاء الساعة الاولى حتى الساعة الثانية عشرة وهكذا حتى نهاية الاسبوع . يلى ذلك الكلام عن دعـــوات كل ثلث من كـــل يوم من أيام الاسبوع . مثلا : الاحـــد : دعاء الثلث الاول من اليـــوم ، دعاء الثلث الثانى .. وهكذا ، ثم الاثنين : دعاء الثلث الاول وهكذا حتى نهاية أيام الاسبوع . ثم يلى ذلك تعاليم ووصايا عامة حول اختيار الوقت المناسب، وثبات النفس ، والطهارة أثناء العمل .. الخ . ثم يقسم الاسماء الحسنى الى الانماط العشرة المعروفة ويورد بعـــد حصر أســـماء كل نمط أوجـــه

استخدام النمط ككل أو كل اسم من أسمائه على حدة • ثم يبدأ البونى بعد هذا فى الكلام بالتفصيل عن اختيار الوقت المناسب للعمل (السحرى)• فيعالج باسهاب فضائل بعض الايام والليالى المعينة مثل « ليلة القدر »•• الخ • ثم يلى هذا الدعوات التى تتلى أول كل شهر عربى ، فهى اذن اثنتا عشرة دعوة • ثم يتناول بعد هذا فوائد بعض آيات القرآن ويتكلم بايجاز عن أسرار الحروف والاعـداد ، وعمل الاوفاق السـحرية حتى نهـاية المخطوطة •

وأقدم شاهد لدينا على هذا المؤلف تلك الاجزاء المقتبسـة منه فى نهاية الأرب للنويرى(٣) • وتدور تلك الاجزاء المقتبسة حول أسماء الله الحسنى ، والاسم الاعظم • ويمكن القول بحق ان هذا المؤلف يشتمل على أهم العناصر الاساسية فى السحر الاسلامى ، كما نعرفها عند البونى •

(ب) حدث بعد وفاة البونى بوقت غير بعيد أن دخلت تعاليمه الى ميدان السحر وسيطرت عليه بحيث وجدنا كيف عمد النويرى الى النقل عنه فى صدد حديثه عن أسـماء الله وتصنيفها ، وعن الاسـم الاعظم • ونحن نعرف طبيعة مؤلف النويرى وكيف أنه كان يعمد الى عرض وتلخيص التراث الفكرى المعروف فى عصره • لذلك لا نجانب الصواب اذا قلنا ان تعاليمه لابد وأن تكون قد احتلت مكانة أثيرة لدى الطرق الصوفية الكثيرة المعروفة آنذاك • ثم حدث بعد حوالى مائة عام أن عمد أحـد تلاميذه المباشرين ـ أو غير المباشرين ـ الى جمع كتاب شمس المعارف الكبرى ليلخص أشهر جوانب تعاليمه وآرائه • غير أننا نسجل بكل عناية أن هذا المؤلف الذى اشتهر بأنه أهم وأضخم مؤلفات البونى المعروفة لم يرد له ذكر عند النويرى (توفى ٧٣٣ هـ ـ ١٣٣٢ م) ، وانما عنـد القلقشندى (توفى ٨٢١ هـ ـ ١٤١٨ م) فى كتابه « صبح الاعشى فى صناعة الانشا » (المجلد الاول ، ص ٤٧٥) •

---

(٣) النويرى .. انظر : نهـاية الارب فى فنـون الادب لشهاب الدين النويرى ، المجلد الخامس ، ص ٢٣٨ وما بعدها •

ونستدل من دراسة الخصائص الاسلوبية لشمس المعارف على انه لا يمكن أن يكون بأكمله من تأليف شخص واحد بحال من الاحوال ونرجح أن يكون مؤلف الكتاب الاصلى واحدا من أتباع أبى الحسن الشاذلى ، حيث يقتبس منه وينقل عنه الشىء الكثير • ولما كان البونى نفسه قد عاش قبل الشاذلى ، فلا يعقل أن يكون هو فعلا الذى نقل عنه • ثم أن الشاذلى نفسه لم يكتب كثيرا ، بحيث يمكن أن يقتبس منه هذا الشىء الكثير فى تلك المواقف والمناسبات المتباينة • وهو لم يترك سوى ثلاث رسائل صغيرة فكيف يمكن لمؤلف شمس المعارف أن ينقل عنها(٤) • ولذلك نعتقد ان جامع شمس المعارف هذا لابد وأن يكون أحد تلاميذ الشاذلى المباشرين ، الذى درس على يديه ، وسمع منه الكثير ، مما أخذه بعد ذلك فى كتابه • فاذا صدق هذا الاعتقاد أمكننا أن نؤرخ تأليف شمس المعارف الكبرى ببداية القرن الثامن الهجرى (حوالى القرن الرابع عشر الميلادى) •

(ج) أما المرحلة الثالثة والاخيرة فتبدأ منذ ذلك التاريخ وتمتد حتى يومنا هذا ، حيث « تؤلف » اعتمادا على هذين المؤلفين الرئيسيين كتب ورسائل لا حصر لها • وأصبحت لدينا اليوم قائمة طويلة من الكتب المنسوبة جميعها للبونى • وسنعود فيما بعد الى الاشارة الى الدور الذى لازالت مؤلفات البونى (الفعلية والمنسوبة اليه) تلعبه فى يومنا هذا •

ثالثا ــ نظرة مفصلة الى كتاب شمس المعارف :

اتفقنا فيما سبق على أنه من المقطوع به أن شمس المعارف لم يؤلف دفعة واحدة ، أو على الاقل فى شكله الراهن المعروف لنا • فشمس المعارف الذى عرفه القلقشندى ونقل عنه ليس هو شمس المعارف المتداول والمعروف لنا اليوم • وهناك عدد لا يقع تحت حصر من الشواهد التى

---

(٤) الزركلى .. قارن الزركلى فى « قاموس الاعلام » ، المجلد الخامس، ص ١٢٠ ، وبروكلمان فى تاريخ الادب العربى ، المجلد الاول من الملاحق ٢ ، ص ٨٠٤ •

تؤكد أن مؤلف الاجزاء الاولى ليس هو صاحب الاجزاء الاخيرة • ونسوق فيما يلى أبرز هذه الشواهد دون حاجة الى حصرها :

١ — تتضمن الفصول من الحادى والعشرين الى الثلاثين كثيرا من التعبيرات التى لا نجدها فى الفصول السابقة • فنجد القارىء يخاطب لاول مرة فى الكتاب كله بعبارة : « اعلم يا بنى » (شمس المعارف ، الجزء الثالث • ص ٢٧٢) •

٢ — من المؤكد أن الفصل الحادى والثلاثين المعنون : الحروف وخواصها ، المجلد الثالث من شمس المعارف ، من ص ٢٨٠ الى ص ٢٨٩ من تأليف مؤلف آخر • وذلك للاعتبارات التالية :

(ا) يطلق مؤلف هذا الفصل على دعوة كل حرف اسم : « أسماء »، بينما كانت تعرف طوال الفصول السابقة باسم « دعوة » • هذا علاوة على أن التسمية الجديدة تخالف أسس السحر الرسمى كما نعرفها عند البونى وتشذ عن نوع المصطلحات التى يستخدمها •

(ب) تسمى كثير من الاشياء الواردة فى هذا الفصل بأسماء مختلفة تمام الاختلاف عن تلك التى عرفت بها طوال الفصول السابقة • فالزجاج — كما كان يسمى هكذا طوال الفصول السابقة — يعرف هنا بالبللور مثلا • وهى تسمية ليست غريبة على مؤلفات البونى فحسب ولكنها غير مألوفة كذلك فى معظم كتب السحر الاخرى التى نعرفها •

٣ — يصدق نفس هذا الحكم على الفصل الثالث والثلاثين من شمس المعارف ، الذى نعتقد للأسباب التالية أنه من وضع مؤلف آخر :

(أ) تستخدم الأشعار بكثرة فى هذا الفصل على خلاف المألوف فى الفصول السابقة من الكتاب •

(ب) يستشهد هذا الفصل كثيرا بالشيخ السبتى (المتوفى عام

٧٢١ هـ ١٣٢١ م) باعتباره الحجة الكبرى فى علم الزايرجة • فينسب اليه كثيرا مما جاء فى هذا الفصل من آراء وتعاليم • ونذكر هنا ما أوردناه فى بدء حديثنا من أن البونى قد توفى عام ٦٢٢ هـ الموافق ١٢٢٥ م فلا يعقل أن يكون قد نقل عن الشيخ السبتى شيئا •

٤ — من الواضح كذلك أن الفصل التاسع عشر من الكتاب من وضع مؤلف عاش بعد موت البونى دون شك • وذلك للاعتبارات التالية :

(أ) من الراجح أن هذا الفصل قد ألحق بالكتاب بعد وفاة البونى • ومن اللافت للنظر هنا أنه لا يوجد بالكتاب — فى أى من طبعاته العديدة — فصل برقم عشرين اذ ينتهى الجزء الثانى من الكتاب بهذا الفصل التاسع عشر ، ويبدأ الجزء الثالث بالفصل الحادى والعشرين مباشرة •

(ب) يشير مؤلف هذا الفصل صراحة فى مواضع عديدة منه الى أنه درس على الشيخ السبتى وجلس اليه وحدثه ، وسمع منه ورأى عليه أحداثا معينة •• الخ • بل وأنه شهد موته ، ووصفه وكتب عنه • فاذا لم تكن هذه البيانات موضوعة عمدا للتضليل ، فانه يكون قد تم تأليف هذا الفصل حوالى منتصف القرن الثامن الهجرى (حوالى القرن الرابع عشر الميلادى) •

٥ — ترد فى الفصول الرابع والثلاثين حتى الثامن والثلاثين اختلافات بارزة عن الفصول السابقة من حيث الموضوعات التى تتناولها والمصطلحات التى تستخدمها• فمحور الحديث هنا هو الزايرجة والسيميا، مما لا يتفق وتصور البونى لموضوعات السحر الاساسية • ثم لا تظهر هنا واضحة الاسس السحرية « العلمية » التى نعرفها عند البونى• هذا علاوة على طائفة أخرى من الشواهد التى تدعم هذا الرأى ، ونورد بعضا منها فيما يلى :

(أ) تظهر فى هذه الفصول لاول مرة كلمة « أس » التى لم نصادفها منذ أول الكتاب •

(ب) يشير مؤلف هذه الاجزاء الى انتقادات أهل القرنين الثامن والتاسع الهجريين (الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين) للسحر والمشتغلين به ، والى ضعف شأنهم وهبوط منزلتهم الاجتماعية • ويتضح من مضمون هذه الفقرة أنها قد كتبت فى القرن العاشر الميلادى • وسأورد فيما يلى نصها لما لها من أهمية كدليل على تاريخ تأليف الفصل ولما تلقيه — علاوة على هذا — من ضوء على مكانة السحرة فى المجتمع وتقييم معاصريهم لهم : — (واعلم ان أهل القرن الثامن والتاسع وما بعدهما ينكرون العلوم كلها • (المقصود هنا العلوم السحرية أى السحر) ويدعون أن أهلها فقدت ، وأن أحدهم لو طلب من يرشده اليها لوجدوا أن الله تعالى وكل ملائكة العلوم الخفية مثل علم الصنعة الالهية ، وعلم الحرف وعلم السيميا • وقالوا فقدت أهلها وهى موضوعة فى الكتب وان العلماء ما وضعوا هذه الكتب عبثا ووضعوا فيها أسرارا خفية • وفضل هذا العلم يظهر بالملازمة على الطاعات وتكرير العمل والتلاوة وأكل الحلال والقطع بالاجابة» • (شمس المعارف ، الجزء الثالث ص ٣٥٨ • ونلاحظ خصائص الاسلوب المميز لهذا النوع من الكتابات ، وخاصة — الثغرات الكثيرة التى يحفل بها ، ولكنها واضحة من السياق) •

(جـ) لاول مرة يطلق فى هذه الفصول اسم « عون » على الملائكة أو الارواح الخادمة (التى يستعين بها الساحر فى أداء عمله) ، بدلا من المسميات التى ألفناها فى الاجزاء السابقة من الكتاب مثل : « خادم » و « روحانى » و « ملاك » أو (ملك) •

(د) لاول مرة يطلق هنا على التوراة اسم « التوراة العتيقة » •

(هـ) بدلا من الكلام — فى الاجزاء السابقة — عن الثوم ، نجد المؤلف يطلب هنا صراحة « رأس ثوم » ، وهو تعبير عامى مصرى حديث ، ليس مألوفا على أى حال فى الكتابات السحرية القديمة • كما نجد صفة الجمع من اسم لاول مرة « أسامى » وليس « أسماء » كما تعودنا فيما سبق وهو فى رأينا تأثير عامى واضح • والملفت هنا أن الميدان كله يتركز

حول الاسماء أساسا • وقد سبق أن ذكرت كلمة « أسماء » عدة آلاف من المرات على طول الكتاب •

(و) نجد أن أحد أجزاء هذا الفصل ــ وهو عبارة عن صفحة واحدة ــ بمثابة مقدمة لفصل عن علم الصفة الالهية • فاذا طالعناه وجدناه مقدمة متكاملة لابد وأن تكون بقلم مؤلف آخر • ومن الراجح أن هذا الفصل كان فى البداية رسالة مستقلة قائمة بذاتها تم الحاقها بالكتاب كما هى ــ بمقدمتها ــ فى تاريخ لاحق • وليس هذا الامر بالغريب أو النادر بالنسبة لهذا النوع من المؤلفات • فكل كتاب يظهر ومعه ــ فى الذيل ــ بعض الرسائل الصغيرة لمؤلفين آخرين وتدور حول موضوعات قريبة (فكتاب شمس المعارف الذى بين أيدينا ملحق به : « رسالة ميزان العدل فى مقاصد أحكام الرمل • ورسالة فواتح الرغائب فى خصوصيات أوقات الكواكب • ورسالة زهر المروج فى دلائل البروج• ورسالة لطائف الاشارة فى خصائص الكواكب السيارة تأليف العلامة الفاضل السيد عبد القادر الحسينى الادهمى » ويبلغ حجمها أربعين صفحة) • وبين يدى طبعتان من الطبعات الكثيرة لشمس المعارف ، ترجع أولاهما الى حوالى عام ١٩٠٠ والثانية الى حوالى ١٩٥٥ • فنجد فى الطبعة الاولى أن هذه الرسائل تحمل ترقيم صفحات مستقل عن الكتاب ، بينما نجدها فى الطبعة الحديثة مدمجة فى ترقيم الكتاب نفسه • وبوسعنا أن نتصور أن مثل هذا الوضع قد تكرر فى الماضى أكثر من مرة ، بحيث تحولت كثير من الرسائل المستقلة التى كانت ملحقة بالكتاب بهذه الطريقة الى أجزاء منه متكاملة معه تكاملا تاما ، لا تحمل ترقيما مسلسلا من الصفحات فحسب بل دخلت كذلك فى ترقيم الفصول •

(ز) لاول مرة فى هذا الفصل يطلق على أحد الاولياء الصالحين اسم « فيلسوف من الواصلين » •

(ح) لاول مرة يستخدم فى هذا الفصل اسم « سورى » بدلا من التسمية الكلاسيكية « شامى » التى تنتمى الى ذلك العصر فعلا •

(ط) يحكى مؤلف هذا الفصل حكاية يبدأها بقوله : « قال أحد المغاربة » .. ومن غير المعقول والبونى واحد من المغاربة أن يصوغ العبارة على هذا النحو .

٦ — أما الشواهد التالية فتثبت أن الفصل التاسع والثلاثين من الكتاب قد ألف فى عصر لاحق على البونى :

(أ) يتناول هذا الفصل الاسماء الحسنى التسعة والتسعين بنفس الطريقة التى سبق أن عولجت بها فى فصول أخرى .

(ب) يدلنا أحد المواضع على عمر هذا الفصل على وجه الدقه ، أو على الاقل على وقت تعديله بواسطة مؤلف آخر أدخل عليه تغييرات أساسية . ونعتقد أن هذه الفقرة لم تحذف من الطبعات الحديثة ، لان دلالتها التاريخية لا تتضح الا بعد تأمل وفحص دقيقين . لذلك لم يفطن اليها الناشر الحديث ويعتبرها اضافة الى الفصل ، هذا اذا كانت أصلا اضافة وليست معيارا يدلنا على تاريخ تأليف الفصل . تقول هذه الفقرة : « فائدة لو شدت لها الرحال لم تسمح بها الرجال . وقد سمحت بها وبغيرها فى هذا الكتاب . وهى أن لله تعالى تسعة وتسعين اسما يتجلى فى كل سنة باسم منها . فعلى هذا يكون للاسماء تسعمائة وتسعون من الهجرة النبوية بتسعمائة وتسعين دورا (يقصد أن كلا من الاسماء التسعة والتسعين يكون قد ظهر عشر مرات حتى عام ٩٩٠ هـ) والفاضل من الالف عشرة الى تاريخ سنة اثنان وخمسون سنة (أى عام ١٠٥٢ هـ) فتعد من الاسماء الحسنى الى المميت فيكون هو تمام ذلك وتكون سنة ٥٣ القابلة (أى عام ١٠٥٣ هـ) يتجلى باسمه الحى وهلم جرا . (شمس المعارف ، الجزء الرابع ص ٥١٠) .

٧ — كذلك الحال بالنسبة للفصل الاربعين ، الذى لا يمكن اعتباره من تأليف البونى للأسباب الآتية :

(أ) أنه يتناول كالفصل السابق عليه علم الحروف ، مما يؤكد أنه

كان فى الاصل رسالة مستقلة ثم ألحقت بالكتاب على نحـو ما فصلنا القول آنفا •

(ب) ترد فى هذا الفصل أنواع من البخور لاول مرة فى الكتاب كالعنبر والند •

(جـ) كما تظهر فى هذا الفصل تعبيرات جديدة وفريدة مثل « شجرة الذنب » (ويقصد شجرة الكروم) (ص ٥٢٧) •

رابعا ــ العناصر الصوفية فى فكر البونى وأسلوبه :

أشرنا من قبل الى أن أسلوب المؤلفات المنسوبة للبونى ــ بغض النظر عن الفصول التى أشرنا اليها وعن الاضافات الحديثة جدا ــ يتميز بالتجانس والطابع الخاص المتميز • ولعل الاقتباسات القليلة التى أوردناها تعطينا فكرة عنه • وأبرز ما يميز هذا الاسلوب العناصر الصوفية الواضحة التى أثرت ولا شك أكبر تأثير على أفكار البونى ومن تبعه وسار على نهجه من السحرة •

فيشير البونى الى كثير من المفاهيم والممارسات الصوفية : « كالرياضة » ، و « الخلوة » ، و (القاصد) ، و (الواصل) ، و « السالك » ، و « السائر » ، و (التجلى) •• الخ • وهو يعتبر كثيرا من الشروط الصوفية شروطا فى نفس الوقت لممارسة السحر بالاسماء الالهية مثل : الصوم عن الطعام أو عن ألوان معينة منه ، وكذلك الامساك عن النوم فترة معينة •• الخ • وتدل عناوين بعض مؤلفاته (أو المنسوبة اليه) على تأثيرات مباشرة من ميدان التصوف (ويمكن للقارىء أن يرجع الى قوائم حصر المؤلفات المنسوبة اليه عند حاجى خليفة فى كشف الظنون وعند كارل بروكلمان فى تاريخ الادب العربى) • فالبونى يميز تمييزا صارما ودقيقا بين عالمين مختلفين : عالم علمانى غير طاهر وآخر طاهر مقدس • ولكى ينتقل الانسان من أولهما الى الثانى لابد له من الوفاء بكثير من الشروط • هذا الى جانب أننا نلاحظ فى كثير من المواضع أنه لا يخاطب

القارىء العادى ، وانما المتصوف أساسا • من هذا مثلا أن يعد القارىء بفضيلة الوصول الى درجة « الابدال » (وهى درجة صـــوفية رفيعة) جزاء له على الدعاء باسم معين من أسماء الله •

خامسا ــ العناصر الدينية فى مؤلفاته :

على أن هذه المؤلفات لم تتأثر بالفكر الصوفى فحسب ، انما بالتراث الدينى بصفة عامة • وليس فى هذا شىء غريب أو شاذ، فالعمل كله والكلام عن أسماء الله أساسا ومن الطبيعى أن تمتد اليه تأثيرات من مجال الدين الرسمى • فنقابل فى مواضع كثيرة عديدا من آيات القـــرآن ، والدعوات الشائعة فى الكتب الدينية الرسمية • والاكثر من هذا الروايات الخاصـــة بصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه • وكان الهدف من سرد هذه الروايات دائما تأييد وتدعيم فعالية الوصفة السحرية المعروضة •

سادسا ــ الحرص على الغموض والابهام :

ومن قواعد السحر الرسمى عنـــد البونى عرض الافكار والاسرار بأقصى قدر ممكن من الغموض والكلمات الغريبة غير المفهومة • فهو يسعى عامدا الى جعل نفسه غير مفهوم • ولم يكن يعنيه اطلاقا أن يكون للكلمة السحرية معنى جليا واضحا ، بل ان الكلمة تكون أكثر فعالية وأقوى تأثيرا كلما كانت غريبة الاصل عديمة المعنى ، بحيث اننا نجـــد كتب الســـحر الرسمى تفضل استخدام كلمات أعجمية غير مفهومة • ويعبر البونى عن ذلك فى أحد المواضع قائلا : « •• وكذلك سنتهم فى علم الصـــنعة أعنى الحكمة الالهية فانهم يذكرون فى مصنفاتهم فيها آخر التدبير قبـــل أوله وأوله فى آخره ويذكرون الحجر بأسماء ليست له ويذكرونه باسمه المطابق له فى غير موضـــع الاحتياج اليه وينفونه تارة ويثبتونه أخرى ويأمرون بأخذه وينهون عنه وكل ذلك تمويه على الجهـــال والعـــوام • والحكيم الفيلسوف لا يتوقف عند ذكر شىء من ذلك بل يتأمل فيما فيه الكون • أى الذى يحصل فيه النتيجة التى يرونها ويتأمل ما فيه الفساد أعنى الاشياء

المتضادة للكون • وليس غرضنا من هذا الكلام فى هـذا المحـل الا أنهم يموهون فى جميع كتبهم لغير الحكيم • ومدار ذلك وقصدهم أن لا يطلع على علومهم الا حكيم • فافهموا أغراض الحكماء ومقاصدهم وما يرونه من الرموز » • (منبع أصول الحكمة للبونى ، ص ٩) •

لهذا تحتشد الكتب المنسوبة للبونى بعـدد لا حصر له من الكلمات الغامضة • وقد ازداد بمرور الزمن الشغف بهـذا المنهج أعنى وضـع وتركيب كلمات جديدة غير مفهومة • بحيث يزداد عدد هذه الكلمات كلما كان المؤلف أحدث • وكثيرا ما توصف بعض هذه الكلمات الغامضة المؤلفة بأنها عبرية أو سوريانية • ذلك أن العنصر السحرى ـ سواء كان الكلمة المنطوقة أو المكتوبة أو الساحر نفسه ـ يكون أكثر فعالية كلما كان غريبا ومنتميا الى خارج المجتمع • فيعتقد فى المشرق العربى أن الساحر القادر البارع يأتى عادة من المغرب ، أو من السودان • ويعتقد فى المغرب العربى أن الساحر المقتدر يأتى عادة من الطرق أو غيره من بلاد المشرق العربى وهكذا • وكم سمعنا عن حكايات الاولياء الذين لاقوا التقديس والاجلال فى البلاد التى هاجروا اليها ، بعد الانكار والاهمال فى مواطنهم الاصلية وهكذا • فالمعتقد الشعبى بصفة عامة شغوف بالغريب وغير المحلى لغة كان أو انسانا •

ومن المهم فى هذا الصدد أيضا أن نعود فنتذكر الحقيقة التى سبق أن أثبتناها من قبل ، وهى أن المؤلفات المنسوبة للبونى ليست من تأليف شخص واحد •

سابعا ـ أثر عمليات النسخ المتكررة :

وقد أدت كثرة المواضع الغامضة غير المفهومة ونسخ هذه المؤلفات على طول هذا الزمن بواسطة نساخ لا يحظون الا بمستوى ثقـافى دون المتوسط ، أدى كل هذا الى الخلط فى كثير من الاسماء سواء كانت أسماء الهية أو أسماء أرواح وفى الصيغ السحرية • بحيث نجـدها تحرف أو

تطمس طمسا كاملا • وقد عالج العالم الالمانى هانز فينكلر أحد مظاهر هذه المشكلة فى استعراضه للصيغة السحرية العبرية «آهيا شراهيا أدوناى أصباؤوت آل شداى •• » فى كتابه : « الاختام والاشكال فى السحر الاسلامى » الصادر عام ١٩٣٠ (٥) •

وقد ترتب على انخفاض مستوى ثقافة واضعى المؤلفات المنسوبة للبونى أن حفلت تلك المؤلفات بالعديد من الاخطاء والقصور فى فهم المصطلح الدينى أو التعبير عنه • فها هو البونى يصف كتابه بعبارة لا تجوز الا فى حق القرآن الكريم فقط ، اذ يقول : « هذا كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » (سورة فصلت الآية ٤٢) •

ويشيع فى مختلف أجزاء الكتاب استخدام كلمات من العامية المصرية • ولو أننا نلاحظ هذه الظاهرة فى نفس الفترة فى بعض المؤلفات فى أنواع أخرى من ميادين التأليف • ويصدق نفس القول على الميل الى السجع وغيره من المحسنات البديعية التى تنتمى الى تراث كتاب ذلك العصر وما تلاه من عصور •

وصفوة القول أن مؤلفات البونى كانت ، ولا تزال ، تمثل العدة الاساسية لكل مسلم مشتغل بالسحر داخل حدود البلاد المصرية على أى حال • ثم هى جزء أساسى لا غناء عنه لكل مشتغل بتأليف صيغ سحرية • وقد نسخت من هذه المؤلفات — فى القاهرة وغيرها من العواصم العربية — طبعات لا حصر لها • وتتراوح هذه الطبعات بين كتيبات صغيرة، ومجلدات تضم مئات الصفحات • وهى تحمل أحيانا اسم البونى كمؤلف لها وأحيانا أخرى اسما آخر ، وأحيانا ثالثة لا تحمل اسم أى مؤلف على الاطلاق • ومن اليسير أن نحدد الاصل البونى والمواضع المنقولة عنه •

---

(5) Winkler; Hans; Siegel und Charaktere in der muhammedanischen Zauberei; Berlin; 1930.

ويحدث أحيانا أن يغالى الناشرون فى هذا الاتجاه بحيث لا نعـود قادرين على تبين الطابع النظرى للبونى • اذ تنسخ من مؤلفات البـونى كتب لا تخدم سوى الاستخدام العملى فقط • والمثال النموذجى على هذه الفئة من المنسوخات مخطوطة : « شرح أسماء الله الحسنى »• فهى واحد من تلك الكتب التى يقتنيها السـاحر الرسمى العـادى ، وينقلون منها أحجبتهم ووصفاتهم • فهى بهذا تمثل قنطرة حقيقية بين ميدانى السحر الرسمى الخالص والسحر الشعبى الخالص ، وان كانت أقرب انتماء الى السحر الرسمى بالمفهوم الذى سنزيده تحديدا فى الفصل التالى •